محمد عابد الجابري
ومشـــروعـــه الفـكـري

زهير توفيق *

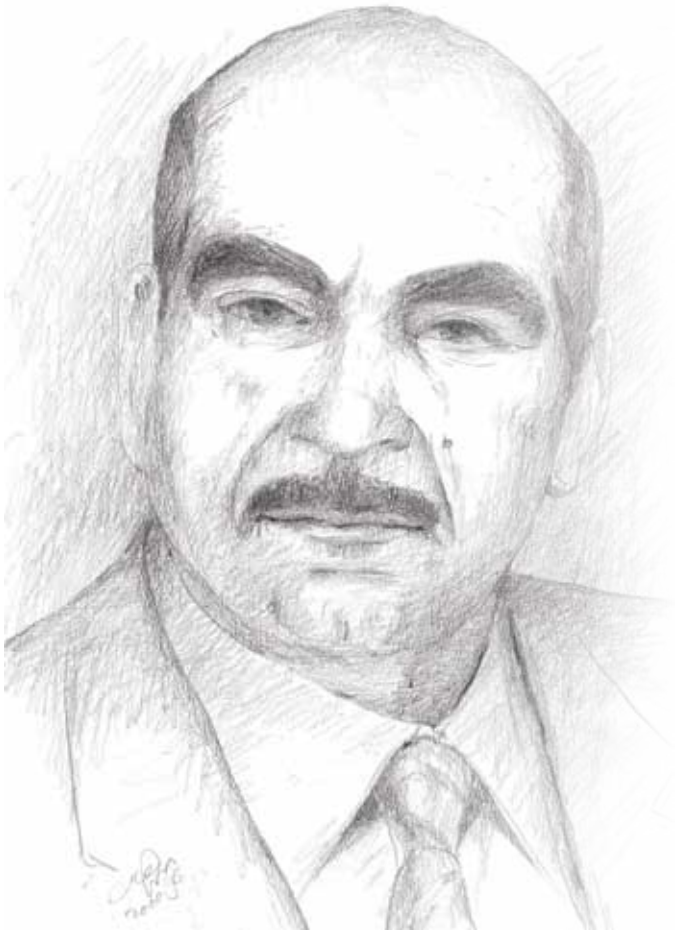

بورتريه للجابري بريشة
الفنان عبد الفتاح علي

في فترة وجيزة، وعلى غير العادة، رحل الذين نُجلّهم في الفكر العربي المعاصر، وتركوا مشاريعهم النقدية التي خلخلت الثوابت وحركت المياه الراكدة عرضه للتساؤل والتشاؤم. فالعقل العربي لم يتغير، والواقع البائس من سيء إلى أسوء، وإشكالات الحرية والإصلاح والحداثة والتسامح، تراوح مكانها، أسيرة الاستبداد والركود. فهل هي كارثة أم فضيحة؟. برحيل فؤاد زكريا، ومحمود أمين العالم، وادوار سعيد، وهشام شرابي، ونصر حامد أبو زيد، ومحمد عابد الجابري، وأخيرا محمد أركون، الذي رحل ونحن لم ننته من تأبين الجابري بعد؟.

لقد شهدت - بحضورهم - العقود الثلاثة الماضية، ازدهاراً فكرياً تمثل بالمشاريع النقدية الابستمولوجية، التي انبرت لقراءة الفكر العربي، ومراجعة مشاريعه التركيبية الإيديولوجية قديماً وحديثاً، خاصة المشاريع المعاصرة: الماركسية والإسلامية والقومية. ومثلت قراءة الجابري عبر مسيرته الطويلة، ابرز تلك القراءات، وخاصة ملحمته الكبرى «نقد العقل العربي» في أربعة أجزاء. وزادت أهمية قراءة الجابري بظهور قراءات نقدية أخرى لمشروع الجابري نفسه، من طه عبد الرحمن، ومحمود أمين العالم، إلى هشام غصيب، وغيرهم الكثير. لقد مثل محمد عابد الجابري نقطة تحول فاصلة في الفكر العربي المعاصر، فقد شهد المواقف والمواقع كلها في المشرق والمغرب، وأطل على إشكالات الطرفين في الفكر والسياسة، وتحول إلى سلطة مرجعية في الفكر الفلسفي.

كان الجابري من أوائل خريجي قسم الفلسفة في الجامعة المغربية (جامعة محمد الخامس) وأول المعيدين في القسم الذي أنشأ حديثاً على يد كبار المفكرين المغاربة في ذلك الوقت وبمساعدة مصرية وفرنسية . وكانت باكورة أعماله التي لفتت الانتباه، المشاركة في وضع منهج مدرسي للفلسفة وعلم الاجتماع، لطلاب المرحلة الثانوية في المغرب وكان من أفضل المناهج المدرسية في موضوعه وتبويبه وسلاسة أسلوبه.

وساهمت الظروف العامة التي مرت على قسم الفلسفة في الجامعة في إثراء تجربة الجابري وتوسيع أفاقه واهتماماته عندما كلف بتدريس مواد مختلفة، كالفلسفة الغربية وعلم النفس والابستمولوجيا والفقه الإسلامي والفلسفة الإسلامية والفكر العربي الحديث. وأضحى مفكراً أصيلا وموسوعياً. وأنحاز في شبابه لقوى اليسار والماركسية التي هيمنت على المناخ

* باحث في الفكر العربي – الأردن

الفكري في الدوائر الأكاديمية والفكرية في فرنسا والمغرب العربي في عقدي الستينات والسبعينات. وأنشغل إلى جانب همومه الفكرية بمشكلات المجتمع المغربي وخاض سجالات فكرية مع المفكرين المغاربة وخاصة مع الفكر العربي عبدا لله العروي. ومن حسنات الجابري كباحث أصيل قدرته على تنظيم وتبويب مقالاته وأبحاثه المنشورة هنا وهناك وتجميعها واختلاق وحدة موضوعية بين موضوعاتها المختلفة وإصدارها كتباً . أما أهم كتبه فهي: العصبية والدولة (رسالة الدكتوراه)، نحن والتراث، الخطاب العربي المعاصر، مدخل إلى فلسفة العلوم، نقد العقل العربي في أربعة أجزاء.

تعرف المثقفون والقراء في المشرق العربي إلى الجابري كمفكر أصيل بعد كتابة» نحن والتراث» 1978 وتعززت مكانته بعد» كتابه الخطاب العربي المعاصر» 1981, وهو قراءة نقدية تحليلية لإشكالات وتناقضا ت الفكرالعربي الحديث المعاصر, واحتوت خاتمة الكتاب على وعد باستكمال مشروعه النقدي بنقد العقل العربي المنتج للمعرفة وسبب المشكلة.

وفي هذا الكتاب (الخطاب العربي المعاصر) أثار الجابري في مقدمته التمهيدية للتعريف بمنهجيه ومفاهيمه ومصادره، كما فعل في الكتاب السابق «نحن والتراث» عندما كتب مقدمه مطوله لتحديد فلسفته ورؤيته لإشكالية التراث في الفكر العربي المعاصر. فأشار أولا إلى أن هدفه هو تفكيك الخطابات المعاصرة في الفكر العربي، أي نقد بنيتها المعرفية وعناصرها المؤسسة بعيداً عن المحتوى الإيديولوجي والمضمون الفكري الذي سيتهاوى تلقائياً بتهاوي أسسه المعرفية. وعليه فقد صنف تلك الخطابات إلى: الفلسفي والقومي والسياسي والنهضوي, وتناول بالنقد والتحليل كل خطاب على حده . فكشف تهافت بنيتها الابستمولوجية وفقدانها التماسك المنطقي، أي الاتساق وعدم التناقض بين مكوناتها, ومابين المقدمات والنتائج, والتلازم بين القضية ونقيضها. واستشهد بالأمثلة والاقتباسات, وأعطى مثلاً على ذلك في نقده للخطاب النهضوي أهم خطابات الفكر العربي, حيث ارتبطت النهضة في ذهن المثقف العربي بسقوط الغرب الذي يعني تلقائياً صعود الشرق وتخلي الخطاب عن شروطه المنطقية بتخليه عن التساؤل والتعليل في ذاته, لماذا يكون سقوط الغرب سبباً للنهضة العربية وكيف يسقط الغرب ولماذا لا يسقط الطرفان أو ينهضان معاً ؟. وغيرها من الأسئلة التي يتهرب منها الخطاب النهضوي, إما بإحالتها على المستقبل أو بإنكارها من حيث المبدأ.

وعجز المفكر النهضوي عن تقديم إشكاليته بطريقة إيجابية, فعرف قضايا النهضة بالسلب ومن الأمثلة على ذلك تعريف (الأصالة) بكونها عدم ابتلاع العصر للإنسان العربي، والمعاصرة بعدم الجمود في الماضي والتراث. وحلل الجابري في الكتاب مظاهر الخلل والفشل والتناقض، وتمثل الفشل الأساسي في تحليل الجابري في: مراوحة الخطاب العربي- بغض النظر عن مضامينه واتجاهاته – بين نموذجين متناقضين, والاعتماد على المقارنة والمفارقة, وعدم الالتفات إلى الواقع القائم واستنتج تناقضات الخطاب في:

1. وقوع الخطاب السياسي في فخ الثنائيات الضدية إما كذا أو كذا .
2. وقوع الخطاب القومي في التناقض من خلال ترتيب قضاياه في عالم الإمكان (ممكنات ذهنية وليس وقائع ملموسة) وتحول الخطاب إلى خطاب نقائض.
3. فشل الخطاب الفلسفي في تحقيق العقلانية، بسبب فقدانه العقلانية على مستوى ماهوي ووظيفي.
4. غياب العقلانية والعقل عن مجمل الخطاب.

أما على صعيد المضمون والاتجاهات, فقد أشار الجابري إلى أن الفكر الفلسفي المعاصر انشغل أساسا بقراءات فكر الآخر(الفلسفة الغربية تحديداً) أو التراث الإسلامي، وكأنه يعيد ويستعيد نفسه من العصر الوسيط, حيث انشغل فلاسفة الإسلام بقراءة الفلسفة اليونانية التي كانت المحتوى المعرفي للفلسفة الإسلامية, وأما مضمونها الإيديولوجي فكان الصراعات المذهبية والسياسية في ذلك العصر. أما توظيفها الراهن لفلسفة الآخر فيعني توظيف مضاعف للايدولوجيا. وكشف الجابري في حفرياته المعرفية في الخطاب العربي الأسباب العميقة المؤسسة لفشل الخطاب وأهمها:

1) اعتماد الخطاب على نموذج سلفي جاهز للقياس عليه، وهو نموذج التراث الإسلامي أو النموذج الليبرالي في الفكر الغربي.
2) الاعتماد على الممكنات الذهنية، وليس على المعطيات الواقعية في التحليل والتركيب.
3) الاعتماد على الذاكرة لاسترجاع القديم، وليس على العقل النقدي
4) تحول الخطاب الفكري من خطاب عقل وعقلانية إلى خطاب ذاكرة وتذكير.
5) تحول الخطاب العربي إلى خطاب تضمين وليس خطاب مضمون ثري بمحتوى أصيل، و الاعتماد على الايدولوجيا والإنشاء اللفظي, بسبب فقر المضمون

المعرفي وتناقض المرجعيات المؤسسة للفكر العربي في مشاريعه الكبرى, والاعتماد على آلية القياس الفقهي للوصول إلى التوفيق بين المتناقضات (الأصل والفرع) بدون مراعاة الشروط المنطقية للقياس أي القياس مع الفارق.
أما في الجزء الثالث من نقد العقل (نقد العقل السياسي)، فقد مارس الجابري نفس رؤيته المنهجية ممثلة بالعقلانية النقدية, وعرف العقل السياسي بكونه توظيف النظم المعرفية البرهانية والبيانية والعرفانية في الحكم والسلطة. وحدد هذا العقل بالمحددات التالية: القبيلة والغنيمة والعقيدة كناية عن المفاهيم المعاصرة بالحزب والشعب والاقتصاد والايدولوجيا. أما مجال الإشكالية الزمني فحدده بالدعوة المحمدية أولاً ثم مرحلة الردة ثانياً والفتنة ثالثاً. وبين تأثير ذلك على المجال السياسي على صعيد الفكر والممارسة, من العصر الأموي إلى العصر العباسي ، وهي الفترة الكافية لتنشيط التفكير والممارسة السياسية في الحضارة العربية الإسلامية.
وفي مقدمته المطولة أشار الجابري لشبكة المفاهيم التي استعارها من الفكر الغربي وعمل على توظيفها ودمجها في منهجيته النقدية بعد ببيئتها لتلائم المقروء التراثي, فأخذ الكثير من الانتروبولوجيا الدينية, وعلم الاجتماع السياسي والتحليل النفسي فاستعار مفهوم اللاشعور من ريجيس دوبرية في كتابه « نقد العقل السياسي» وأخذ مفهوم الكتلة التاريخية من انطونيو غرامشي وأخذ من ماركس وأبن خلدون ومشيل فوكو والتوسير وغيرهم...
وأشار إلى أن استعارة المفاهيم وتبيئتها ضرورة معرفية وليس استعراضاً معرفياً للباحث. وحتى تكون تلك المفاهيم خلاقة ومنتجة, لا بد من تبيئتها. وإلا سقطنا في التكرار إذا اعتمدنا المفاهيم التراثية كما هي, أو بالتغريب إذا استعدنا مفاهيم الفكر الغربي بدون تأويل, ومن الأمثلة التي طرحها على سبيل المثال, توظيف مفهوم اللاشعور في الفكر الغربي , فقد استنتج دوبرية كمون الدين تحت الخلافات السياسية القائمة في المجتمع الغربي وهو المحرك الخفي لتلك الصراعات, أما في الفكر الإسلامي كما طبقة الجابري فقد اكتشف العكس حيث تكمن الخلافات السياسية تحت الخلافات الدينية والمذهبية الطافية على السطح.
أما تجليات العقل السياسي فكانت أيديولوجيا الجبر في العصر الأموي لتسويغ اغتصاب السلطة والخلافة وتحولها إلى مُلك عضوض ومن العصر الأموي إلى العصر العباسي حيث تحولت الخلافة إلى وحدانية أي تفرد الخليفة «ظل الله على الأرض» بالسلطة والمهام والامتيازات, وفي تلك الفترة وأمام أشداد أفق التغير كان لا بد من تبرير الأمر الواقع فظهرت الآداب السلطانية وفقه السياسة. لتسويغ السلطان القائم, وقطع الطريق على التغير بتخويف الناس من الفتنة. وتمثلت مشكلات الحكم والعقل السياسي كما وصفها الجابري في التاريخ الإسلامي كما يلي:
1. عدم وجود نص مؤسس للنظام السياسي أو نظرية مرجعية محددة, وبالتالي انفتح الصراع والخلاف ومورس الاستبداد السياسي.
2. عدم وجود صلاحيات محددة للخلفية أو الحاكم.
3. عدم وجود طريقة معينه لتنصيب الحاكم, أما الشورى فبقيت نموذجاً معيارياً يفتقر للممارسة والتجريب.
4. عدم وجود مدة محددة يمارس فيها الحاكم صلاحياته.
5. عدم وجود رقابة حقيقية على السلطة.
أما الحلول التي تصورها الجابري فهي: ضرورة تحويل القبيلة إلى مجتمع سياسي مدني حديث. تحويل الريع (الغنيمة) إلى اقتصاد إنتاجي حديث بضرائب على الإنتاج والاستهلاك وتحويل العقيدة والتعصب المذهبي إلى مجرد خلاف في الرأي.
تكمن أهمية مشروع نقد العقل العربي كممارسة لإعادة النظر بالموروث الفكري وإعادة تأسيس التراث بقراءة جديدة كشرط لابد منه للشروع في النهضة الحديثة. فأشار أولاً لثقل التراث على العقل والنفس العربيين فهو التراث الذي يحتوينا ويسكن فينا أي المهيمن والمُسيطر علينا. فلم يعد التراث العربي موضوعاً أو فلكلوراً يثير المتعة والحنين بل هو بنية حية مؤطرة لوجودنا على جميع المستويات. وفي التركيز والحديث على التراث يشير الجابري إلى التوظيف المضاعف للتراث في الفكر العربي المعاصر , حيث لم يعد يعني ما كان في الماضي البعيد , بل ما يجب أن يكون, وتحول إلى أداة صراعيه للدفاع عن الهوية ضد الغرب وتحقيق الأصالة بالعودة إلى الماضي التليد. ونظراً لهذا الالتباس تحول تفكير العربي إلى عملية تذكر وتذكير وفرض الواقع البائس نفسه على المعاصرين بالعودة إلى التراث كضرورة وجوديه للخروج من المأزق. أما كيفية تعامله مع التراث فقد حدد الجابري الأدوات النقدية اللازمة وهي ضرورة التعامل مع التراث على مستويين:
1.مستوى الفهم أي تمثيله في مجمله وكليته وهذا يعني رفض الانتقائية.
2.توظيف الماضي الحي أي ما بقي مؤهلاً ومعاصراً لنا.

وتمثل ذلك عند الجابري بعقلانية ابن رشد, وواقعية ابن خلدون, وفقه الشاطبي, وابن حزم. وتكن أهمية عقلانية ابن رشد تحديدا بسبب تحرره من إليه المتكلمين وهي قياس الغائب على الشاهد. أما أدواته النقدية لقراءة هذا التراث, فتمثل على صعيد المنهج بالمزاوجة أولاً بين البنيوية والمنهج التاريخي والتشديد على تاريخية الفكر العربي وقراءة تراثنا قراءة كلية وتاريخية لا نضحي بالعام في سبيل الخاص ولا بالخاص في سبيل العام. وأما على صعيد الرؤية الموجهة للمنهج فركز على المصادرات التالية:

1.اعتبار الفكر العربي الإسلامي في المشرق والمغرب فكراً واحداً في إشكاليته المعرفية وهي التوفيق بين الفلسفة والدين (مشكلة العقل والنقل).

2.ربط الفكر العربي الإسلامي بواقعه السياسي وزمنه الثقافي.

3. ربط الفكر العربي بحقله المعرفي الذي تحرك فيه وبمضمونه الإيديولوجي متمثلاً بصراعاته المختلفة.

أما أدواته المنهجية فتمثلت بالمنطلقات التالية:

1. الموضوعية أي فصل الذات عن الموضوع في التعامل مع التراث وأساسها المعقولية والموضوعية , ويعني الجابري بالموضوعية جعل التراث معاصرا لنفسه, أي فصله عنا نحن المعاصرين لذاتنا. أما الشق الثاني فهو المعقولية, وتعني جعل التراث معاصراً لنفسه من خلال وصله بنا. مدخلا لإعادة التراث إلى وضعه الطبيعي كموضوع للقراءة وليس ذاتاً مسيطرة وسلطة معرفية.

أما المنهج الملائم لدراسة ظاهرة بهذا التشابك والتأثير فهو المنهج الابستمولوجي ومصادراته عند الجابري فهي: التركيز على طريقة التفكير في معالجة الموضوع من خلال شبكة المفاهيم المكونة للمنهج, وتحديد الإشكالية الخاصة بالموضوع وحقلها المعرفي الذي تتحرك فيه. وفهم التراث فهماً عصرياً, أي فهمه في ذاته كما هو بدون التوظيف الإيديولوجي, أو التأويل الانتقائي, والوصول أخيرا لتحقيق قطيعة معرفية مع التراث, بالخروج من سيطرته والتحرر من سلطاته المعرفية والامتثال له , أي عزل القراءة التراثية للتراث التي لا تضيف شيئاً لا للذات ولا للموضوع. ولا يتناقض ذلك مع الانتظام بالتراث من خلال إعادة النظر بمعطياته ونقدها لإعادة تأسيسها من جديد . وأهمية هذا الانتظام هو الانطلاق لتحقيق المشروع النهضوي العربي, أو استئناف المشروع الحضاري المتوقف منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فشرط النهضة هو الانتظام بتراث الذات وتحقيق الاستقلال فيه. وليس الانتظام بتراث الآخر (الفكر الغربي) لإعادة إنتاج التبعية. وهذا يتطلب إشاعة الروح النقدية بالتعامل مع التراث وعدم التماهي فيه, والتعامل معه كموضوع (نصوص وخطابات . والمزاوجة منهجياً بين التحليل النبوي والتاريخي, بالاستفادة من المفاهيم وأنساق التحليل عند البنيويين الفرنسيين وخاصة التوسير. وقادنا (الجابري) بتحليله إلى كشف المسكوت عنه أو الإمكان التاريخي في التراث, أي ما سكت عنه النص لأسباب سياسية ودينية. أو تفسير ما قاله بطريقة موارية. ولذلك فلا معنى ولا مغزي للفلسفة الإسلامية كما يراها الجابري إلا في الوظيفة الإيديولوجية التي أدتها وليس في مضمونها المعرفي.

إن طبيعة هذا المنهج الايستمولوجي التاريخي البنيوي كما تعامل به الجابري مع التراث فهو تحليل موضوعاته بوصفها بنى , وليس مجرد مركبات يمكن ردها إلى مكوناتها الأولية ,بل تحليل البُنى التراثية بكشف الغطاء عن العلاقات القائمة بين مكوناتها كمنظومات ثابتة وعلاقات قائمة في إطار التحولات التاريخية التي لا يمكن إغفالها. والهدف النهائي كشف محدودية تلك البنى والتحرر من سلطاتها المعرفية والسيطرة عليها.

عرف الجابري العقل العربي كنظام معرفي أي كمجموعة مفاهيم وإجراءات وبنية معرفية لاشعورية, وميز في سياق نقده الايستمولوجي بين الفكر والعقل. فالفكر يشير بالأساس للمضمون والمحتوى الإيديولوجي بشكل عام, أما العقل فصنفه إلى صنفين حاذياً حذو الفرنسي (لالاند) بتصنيف العقل إلى عقل مكون (بالكسر) ويعني الملكة المسؤولية عن إنتاج المعرفة. والعقل المكون (بالفتح) ويعني العقائد والأفكار المنتجة ثم قسم البُنى المعرفية العربية إلى ثلاثة أنظمة معرفية وهي:

- النظام المعرفي البياني ومصدره اللغة العربية والنص الديني, وهو الجانب الأصيل في الثقافة العربية .
- النظام العرفاني وهو النظام المؤسس للتصوف واللامعقول والعقل المستقبل أو النظرة السحرية للعالم, ومصدره التراث الغنوصي الفارسي والديانات الشرقية.
- النظام البرهاني أساس العلوم العقلية والمنطق, ومصدره الثقافة اليونانية التي دخلت بالترجمة متأخرة.
- وتمثلت أزمة النظام العرفي أو الثقافة العربية بكون تاريخها الثقافي الذي فقد الديناميكية والتطور النوعي

بسبب تأسيس الأسس المعرفية للعقل العربي دفعه واحدة وخاصة علوم العربية أو العقل البياني. فالنحو والبلاغة والعروض وأصول الفقه ولدت كاملة ولم يعد بالإمكان إضافة شيء جديد.

انبرى الجابري في مشروعه الكبير «نقد العقل العربي» وخاصة في الجزأين الأوليين بتحليل العقل كمنظومة معرفية تكونت في عصر التدوين في القرن الثاني للهجرة استناداً لتصورات وأوهام الثقافة العالمة والسلطة لذاتها وعن ذاتها. وهي بالأساس ثقافة العلماء والمفكرين والفقهاء والأدباء واستثنى الجابري من تحليله النص الديني والثقافة الشعبية وتركها للانثروبولوجيا التاريخية والدينية. وفي تحليله لتكوين هذا العقل أشار الجابري أولا لدور الإعرابي ابن الصحراء الذي شكل سلطة مرجعية في علوم العربية, كما أشار إلى الدور المركزي للإمام الشافعي ورسالته وأعتبره المؤسس الحقيقي للعقل العربي, وتم الانتهاء من إعادة إنتاج العصر الجاهلي كما أراد له أن يكون في هذا العصر. والعقل كنظام معرفي يتكون من القواعد والمبادئ اللازمة لإنتاج الثقافة العربية ,لا يعني العقلية أو الذهنية, فهذا المفهوم العنصري المصاحب للفلسفات العرقية هو التحريف والتصحيف الذي حصل لمفهوم الجابري للعقل العربي وجر له المتاعب والاتهام بالإقليمية والعنصرية. كمفكر من أصول أمازيغية.

صاغ الجابري تحليلاته البنيوية والابستمولوجية على شكل أزواج مفاهيميه على شاكلة اللفظ والمعنى في النظام البياني وهي المفاهيم التي أسست المنهج والرؤية لكل نظام معرفي في الثقافة العربية حيث يدخل كل زوج مفاهيمي في علاقة تكافؤ وتوازن تارة أو بعلاقة توتر وتناقض تارة أخرى. أما في الجزء الرابع» نقد العقل الأخلاقي» فقد أشار الجابري في مقدمته المطولة إلى فقر المكتبة العربية بالدراسات الأخلاقية, ودعا لتدشين مرحلة جديدة لقراءة النظام الأخلاقي, مشيرا إلى الدور الخطير الذي لعبه التراث الساساني الفارسي. وبين تأثيره السلبي على المنظومة الأخلاقية العربية الأصلية ممثلة بأخلاق الرجولة والمروءة .

وقارن الجابري بين أخلاق الطاعة الفارسية وأخلاق السعادة اليونانية والصراع بين المنظومتين, وانتصار الأخلاق الفارسية على أخلاق السعادة, خاصة وأن أخلاق السعادة دخلت متأخرة على المنظومة العربية, ومنذ انتصارها تحكمت الأخلاق الفارسية بالعقل العربي, ومورست من قبل السلطة الأموية والعباسية وخاصة أخلاق الطاعة والراعي والرعية بالمفهوم الفارسي.

ولتجاوز الموروث الفارسي وأخلاق الطاعة المتحكمة بالعقل العربي حتى الآن واستمرار الاستبداد. دعا الجابري العرب «الدفن اردشير « الفارسي رمز الأخلاق الساسانية (الطاعة) وتحرير العقل العربي منها بتدشين عصر أخلاقي عربي جديد.

ومن جهة أخرى أشار الجابري للحظات الحاسمة في تكوين العقل العربي وبنيته المعرفية مثل لحظة التداخل التكويني وهي لحظة التفاعل الإيجابي إبان مرحلة البناء والتأسيس, مما مكن العقل العربي من تأكيد فاعليته القصوى. واللحظة الثانية هي لحظة الأزمة عندما دخلت الأنظمة الثلاثة: (البرهاني –العرفاني – البياني). في أزمتها البنيوية منذ القرن الخامس الهجري, تمثلت أولاً بالمصالحة بين العرفان والبيان على يد الصوفي الجليل الإمام القشيري. ثانياً لحظة المصالحة بين العرفان والبرهان مع الشيخ الرئيس الفيلسوف ابن سينا, وهكذا فبدلاً من طرد الغنوص والسحر من الثقافة العربية وعزل العرفان الذي انتصر كنظام معرفي على البرهان والبيان أما اللحظة الحاسمة. اللحظة الثالثة فهي لحظة الغزالي حيث التفكك والتداخل التلفيقي للأنظمة الثلاث.

أما سبل الخروج من الأزمة واستئناف النهوض العربي. فيحتاج كما يرى الجابري لتدشين عصر تدوين جديد وتحقيق الاستقلال التاريخي للذات العربية من القياس والنماذج الجاهزة وسلطة التجويز والسلف واللفظ والاستبداد السياسي. ودمج الخلدونية بالماركسية لتحقيق الأصالة والمعاصرة.